



أصلح لي ديني 2 - التفرق في الدين

خطب الجمعة

2017-02-17

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

الحمد لله تحمده، وستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعود بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلن تجد له ولنّا مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إفرازاً بربوبيته، وإرثاماً لمن حمد به وكفر، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبرِ اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذُرّة سيدنا محمد وسلم تسلیماً كثيراً. وبعد فيا أيها الإخوة الكرام، قبل أسابيع بدأنا بالحديث عن موضوع مهم جداً، عنوانه **إصلاح الدين** أو **فُل إن شئت إصلاح الدين**، لأنَّ النبي صلّى الله عليه وسلم كما في الصحيح كان يدعو فيقول:

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أُمْرِي،
وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ
لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ حَيْثُ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

(صحيف مسلم)

إذاً قد يكون الدين الذي نحن قائمون عليه يحتاج إلى إصلاح، لاسيما في هذه الأيام التي أعلنت فيها حرب عالمية ثالثة مفتوحة ضد ديننا، إذْ هناك تدين يحتاج إلى إصلاح. وبينما في خطبة سابقة إصلاح الدين من خلال قوله تعالى:

سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْتِ يَهُوَ حَوْا وَالَّذِي أَوْجَبْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا إِلَيْكُمْ وَمُؤْسِي وَعِيسَى
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ كَثُرَ عَلَى الْمُسْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَحْبِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُشَاءُ (13)

فهناك ندّيُّن، وهناك إقامَة للدين، واقامة الدين تختلف عن الندّيُّن التقليدي وتحدثنا عن ذلك مفصلاً.

الدين يجمع ولا يُفرق:

اليوم ننتقل إلى عنوان عريض آخر في قضية (**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي**) وهي قضية التَّعْرُق في الدين، قال تعالى: **سَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَفِيقُوا الدِّينَ (أَنْ أَفِيقُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ)** هذا موضوعنا السابق، (**وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ**) هذا موضوعنا اليوم (**أَنْ أَفِيقُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوهُ فِيهِ**). وفي آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَإِنِّي عَوْنَوْ وَلَا تَنْبِغِي السُّبُّلُ فَتَنَقَّرُونَ يُكْمُ عن سَبِيلِهِ **
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ شَفَعُونَ (153)

(سورة الأنعام)

السبيل كثيرة، لكن صراط الله المستقيم واحد، عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: **أَمْرَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ، وَنَهَا مِنْ الْاِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَاحْتَرَمُهُمْ أَنَّمَا أَهْلُكُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْيَرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ. (وَلَا تَنْبِغِي السُّبُّلُ فَتَنَقَّرُونَ يُكْمُ عن سَبِيلِهِ).**

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم، يوم خطب بالأنصار وقد وجدوا في أنفسهم عليه شيئاً، يوم قسم غنائم حنين، فأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار، وجدوا في أنفسهم عليه، فجمعهم وخطب بهم فكان مما قاله:

{ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْعَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤْلَقَةَ فُلُوْهُمْ، فَيَلْعَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُجْبِيُونَ أَنْ يُصْبِيُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَشْتَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ صُلَالًا، فَهَذَا كُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَهُ، فَأَعْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَمُنْقَرِّقَيْنَ، فَجَمِعْكُمُ اللَّهُ بِي؟>span> يقولون: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، فَقَالَ: أَلَا أَجِدْكُمْ صُلَالًا، فَهَذَا كُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَهُ، فَأَعْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَمُنْقَرِّقَيْنَ، فَجَمِعْكُمُ اللَّهُ بِي؟>span> يقولون: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، فَقَالَ: أَمَا إِنْكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَّا وَكَذَّا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَّا وَكَذَّا لَأَسْبَأَهُ عَذَّبَهَا، رَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا تُحِبِّنُونِي؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، فَقَالَ: أَمَا إِنْكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَّا وَكَذَّا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَّا وَكَذَّا لَأَسْبَأَهُ عَذَّبَهَا، رَعَمَ عَمْرُو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: أَلَا تَرَضُونَ أَنْ يَدْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِلِي، وَنَدْهَنُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِ رِحَالَكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شَعَّارُ النَّاسِ دَنَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَا وَشَعِيَا، لَسْلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشَعِيَّهُمْ، إِنْكُمْ سَتَلَقُونَ بَعْدِي أَثْرًا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ.**

{

(صحيح مسلم)

الدين يُؤْلِفُ ولا يُفْرِقُ، (**وَعَالَهُ، فَأَعْنَاكُمُ اللَّهُ بِي**، (وعاله) أي فقراء، وفي آية ثلاثة يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**إِنَّ الَّذِينَ قَرُوْنَ بِيَتْهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ **
يُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْقُلُونَ (159)

(سورة الأنعام)

(شيئاً) أي فرقاً وظائف، **اللَّذِي مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** أي يا محمد لست منهم في شيء.
وفي آية رابعة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوكَ قَائِمَ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِتَصْرِفِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62)
أَلَّفَ بَيْنَ فُلُوْبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ فُلُوْبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَ فُلُوْبِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)

(سورة الأنفال)

آللَّهُ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، فَاجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ عَلَى اللَّهِ عَزِيزِ جَلَّ جَلَّ.

متى تفرق في الدين؟

أيها الإخوة الكرام، متى تفرق في الدين؟ وهذا مذموم ومنهي عنده، ويحتاج أن نرفع أكفنا ونقول: اللهم أصلح لنا ديننا، لأننا نتفرق في ديننا.
أولاً: عندما نسمى أنفسنا بأسماء جماعاتنا وتحزباتنا، ولا نسمى أنفسنا بما سما الله به، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَجَاهُهُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ هُوَ احْتَيَاكُمْ وَمَا حَقَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۝ ۝ ۝
هُوَ سَمَّا كُمُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونُ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۝ **فَاقِمُوا**
الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الرَّزْكَةَ وَأَتَّصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَكُمْ ۝ **فَيَقُولُ الْمَوْلَى وَنَعْمَ التَّصِيرُ** (78)

(سورة الحج)

عندما أقول أنا وأنت، أنا مسلم وكفى لا تفرق في الدين، أمّا عندما يقول فلان: أنا من جماعة فلان، فتنفرق في دين الله.

أيها الإخوة، لا مانع أن يعمل الإنسان ضمن مجموعة ما دامت عقيدتها سليمةً وسلوكها مُستقيمةً، لا مانع لأنَّ الإنسان يتجمَع ضمن تجمُعات، لكن أن يصلح الولاء للتجمع، أو للحزب، أو للجماعة، على حساب الولاء للدين وعلى حساب الولاء للمؤمنين فهذا تفرق في الدين، وهذا ما وقع به كثيرون من المسلمين وكثير من الجماعات، عندما نجعل الولاء للجماعة، فرأيناها هو الصواب وأي غیرها هو الخطأ، وعقيدتها هي السليمة، وغيرها إن لم يكونوا في النار فهم في أقل الأحوال ضلال، وإن لم نقل ذلك بلسان مقاينا، فلنأخذ بلسان حالنا، هنا تفرق في الدين، **(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)، (هُوَ سَمَّا كُمُّ الْمُسْلِمِينَ)**.

أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! ترك تسمية الله لنا، تسمية السلام، الإسلام، المسلم، ثم نسمى أنفسنا بأسماء جماعاتنا وتحزباتنا الصّيغة! هذا تفرق في الدين.

الاختلاف في الاجتهادات الفقهية لا يعني أن تفرق في الدين:

تفرق في الدين أنها الاختوة، عندما تُعرِّفُنا الاختلافات الفقهية في القضايا الفرعية، وتشغلنا عن مقاصد ديننا العظيمة وأصوله الخالدة، عندما تأخذ قضية فرعية في الدين فيها اختلاف فقهى، والاختلاف قد يسُوء في بعض القضايا، وهذا لا يُعكر حُقُوقَ النَّاسِ، فقد تختلف في قضية فرعية، في حركات الصلاة، أو في حركات الصلاة، أو في بعض مناسك الحج، قد يحصل ذلك، ونجد قوله الإمام وقولاً آخر، وقد يكون قول أقوى من قوله، وقد يستويان في الدليل وقد في قضايا فقهية، لكن عندما يجعل هذه القضايا الفقهية هي الدين، وتتفرق عن مبادئ الدين ومصالكه فهنا الطامة الكبيرة.

أيها الإخوة الكرام، أيعقل أنَّ ملبار ونصف المليار مسلم يتوجهون في صلاتهم إلى قبلة واحدة، يؤدون حركاتٍ لو صُورت من بعيد لبدت متشابهةً مئةً بالمائة، يركعون، يسجدون معاً، يقرأون الفاتحة في الصلاة معاً، يقرأون ما تيسّر من القرآن بعدها، يجلسون العقود الأولى، والعقود الثاني، عدد الركعات، أوقات الصلوات، كل هذا الانفاق، ثم تجد تناحرًا بين مؤمنين لحركة فرعية في حركات الصلاة، ربما تكون كلها في الأصل سُنّةً من سنن الصلاة لا واحداً من واجباتها! هذا تفرق في الدين، لا يعني أنَّ الاختلاف بعد ذاته هو التفرق، قد يرى إنسان رأياً وقد يرى الآخر رأياً آخر في مسألة واحدة في قضية فرعية، الصلاة واجبة، وحركاتها معروفة، وحركات ركعاتها معروفة، وتكتيراتها معروفة، وكل شيء معلوم، لكن هناك قضية مثلاً في رفع الإصبع في الصلاة، أو وضع اليدين أعلى أو أخفض بقليل، فقد تجد إنساناً يجهد هنا، وإنساناً يجهد هنا، لكن هل يُعقل أن تصبح هذه القضية هي الدين كله، ويتناقض المسلمين حولها، ثم تحول نقاشاتهم إلى تفرق في الدين؟! هذه هي الطامة الكبرى.

تفرق في الدين عندما تقدم قول الله عز وجل وقول نبيه الكريم:

ثالثاً: تفرق في الدين أنها الاختوة عندما تُقدّم في الدين قول الإمام على قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا شيء إلا أنَّ هذا الإمام أو هذا الشّيخ هو شيخ جماعتنا أو شيخ طريقتنا، فتُقدّم قوله على قول الله، وقول رسول الله، فتفترق في الدين، لأنَّ الدين نصوصٌ من عند الله عز وجل، وقد تختلف في بعض جزئياتها في الفهم، لا في أصل النص، ولكن أن يُقدّم قول الأئمة مهما علا شأنهم، وفُهم جميعاً على العين والراس ماداموا مستقيمين في عقيدتهم وسلوكهم، وتصرّر بهم، وتصرّر بتراهم الفقهي والعملي، لكن أن يُقدّم قول إمام ولو عارض حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً، وهذا قليل لكن قد يحصل، والإمام الشافعي مثلاً رضي الله عنه، وهو من هو في الفقه كان يقول:> لأنَّ الرأي يُخطئ ويُصيب، أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حديث من وهي يُوحى من الله سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)

(سورة النجم)

تَفَرَّقُ فِي الدِّينِ عَنْدَمَا نَعْتَدِلُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَيُّهَا الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ، وَتَفَرَّقُ فِي الدِّينِ أَيْضًا عَنْدَمَا نَعْتَدِلُ ثُمَّ نَعْتَدِلُ ثُمَّ نَسْتَدِلُ، وَالصَّحِيفَ أَنْ نَسْتَدِلُ ثُمَّ نَعْتَدِلُ ثُمَّ نَعْتَدِلُ، مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ النَّصَّ هُوَ الْأَصْلُ، كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَصْلُ، فَنَاتَى بِالنَّصَّ ثُمَّ نَسْتَنْتَطِي الْحُكْمَ مِنْهُ، لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْكُسُونَ الْآيَةَ، فَيَعْتَدِلُونَ فِي أَذْهَانِهِمْ فَكَرَّهُوا مَا تَعَدَّلُوا عَنْهُ، ثُمَّ يَبْحَثُونَ لَهَا عَنْ دَلِيلٍ، فَإِنْ لَمْ يَأْتِ الدَّلِيلُ مَوْافِقًا لِأَهْوَائِهِمْ أَوْ لِرَغْبَاتِهِمْ، أَوْ لِمَا يَدُورُ فِي خَلْدِهِمْ، لَوْلَا عَنْقُ النَّصوصِ، وَأَعْمَلُوا عَقْلَهُمْ فِيهَا حَتَّى تَصِيرُ موافِقًا لِأَرَائِهِمْ، وَالصَّحِيفَ أَنْ يَسْتَدِلُ الْإِنْسَانُ أَوْ لَا يَعْتَدِلُ.

تَفَرَّقُ فِي الدِّينِ عَنْدَمَا نَخْتَلِفُ فِي فَهْمِنَا لِلنَّصِّ الْمَوْحَى مِنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى :

أَخِيرًا تَفَرَّقُ فِي الدِّينِ عَنْدَمَا نَنْقُلُ الْفُدُسِيَّةَ مِنَ النَّصِّ الْمَعْصُومِ إِلَى فَهْمِ النَّصِّ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ النَّصُّ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ سَوَاءً كَانَ وَحْيًا مَتَّلِقًا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ وَحْيًا غَيْرَ مَتَّلِقٍ جَاءَ فِي شَرِيكِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَلَاهُمَا وَحْيٌ، لَكِنَّ أَيُّهَا الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ هَذَا الْوَحْيُ مَعْصُومٌ بِلَا شُكٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)

(سورة فصلت)

أَمَا فَهْمُ النَّصِّ فَهُوَ شَيْءٌ لَيْسُ مُقَدَّسًا، قَدْ يَفْهُمُونَ النَّصَّ بِطَرِيقَةٍ غَيْرَ صَحِيفَة، قَدْ يَفْهُمُونَ النَّصَّ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا يُوافِقُ عِلْمَ الْأَصْوَلِ، وَلَا يُوافِقُ عِلْمَ الْفَقِيمِ، فَبَعْضُ النَّاسِ يَنْقُلُونَ الْفُدُسِيَّةَ مِنَ النَّصِّ إِلَى فَهْمِ النَّصِّ، فَيَجِدُ أَنَّ فَهْمَهُ لِلنَّصِّ هُوَ الْمُقَدَّسُ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَوْرَجَ إِلَى كِتَابِ الْفَقِيمِ، وَكَتَبُ الْأَصْوَلِيِّينَ لَوْجَ أَنَّ فَهْمَهُ لِلنَّصِّ كَانَ مُخْطَنًا فِيهِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُ فِي الْاِخْلَافَاتِ مَعَ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ بِسَبِّبِ فَهْمِكَ لِلنَّصِّ، فَالنَّصُّ مُقَدَّسٌ لَكَنْ فَهْمُهُ غَيْرُ مُقَدَّسٍ، لَأَنَّ فَهْمَهُ جَهُدٌ بَشَرِيٌّ، أَمَا النَّصُّ بَحْدَ ذَاتِهِ فَهُوَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

لِمَاذَا الدِّينِ يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ، الدِّينُ يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ، لِمَاذَا؟

أَوْلًا: لَأَنَّا جَمِيعًا نَعْتَدِلُ إِلَهًا وَاحِدًا، الْجَهَةُ الَّتِي نَتَوْجِهُ إِلَيْهَا جَمِيعًا هِيَ رُبُّنَا جَلَّ جَلَّهُ، نَؤْمِنُ بِهِ، بِوَحْدَانِيَّتِهِ، بِكُمالِهِ، بِعَدْلِهِ، بِحِكْمَتِهِ، هُلْ مِنْ مُسْلِمٍ يُنْكِرُ ذَلِكَ؟! إِذَا حَدَّدْنَا نَتَوْجِهَ إِلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ، نَتَوْجِهُ إِلَى مَنْجِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ اللَّهُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، نَتَوْجِهُ إِلَى قَبْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي صَلَاتِنَا، فَالَّذِينَ يَجْمَعُونَ وَلَا يُفَرِّقُونَ هَكُذا بِنَفْسِي.

ثَانِيًّا: لَأَنَّ الدِّينَ يَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِالْوَحْيِ وَلَا يَرْبِطُهُ بِالنَّظَرِيَّاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ، الَّتِي يَهْدِمُ أَحْرَاهَا أُولَاهَا، مِنْ يَتَّبِعُونَ جَمَاعَةً، أَوْ فَنَّةً، أَوْ مَذَهِيًّا مِنَ الْمَذاهِبِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الدِّينِ وَالنَّدِيْنِ، هِيَ مَحْرُورٌ نَظَرِيَّاتٍ وَصَعْبُها الْبَشَرُونُ، قَدْ تَكُونُ مُصَبِّيَّةً حَيَّا وَمُحْكَمَةً حَيَّا أَخَرَ، وَقَدْ يَأْتِي عَالِمٌ بِنَظَرِيَّةٍ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدُهُ مِنْ يَنْقُصُ النَّظَرِيَّةِ مِنْ أَصْلِهَا وَبِهَدْمِهَا أَوْ يَعْدِلُ فِيهَا وَبِنُطْقِهَا، لَكِنَّ الدِّينَ يَرْبِطُ بِالْوَحْيِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَجْمِعَ عَلَى الدِّينِ لَا أَنْ تَفَرَّقَ فِيهِ.

ثَالِثًا: لَأَنَّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي سَرَّاهَا اللَّهُ عِبَادَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ لَا فَرِديَّة، انْطَرَوْا إِلَى الصَّلَاةِ، انْطَرَوْا إِلَى الصَّلَاةِ، صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ سُنْنَةٌ مُؤَكَّدةٌ، وَأَقْلَلُهَا صَلَاةُ الْجَمَعَةِ لَا يُدُّنُّ مِنْ أَدَائِهَا فِي جَمَاعَةٍ، انْطَرَوْا إِلَى الصَّيَامِ، يَصُومُ الْمُسْلِمُونَ مَعًا، يُفَطِّرُونَ مَعًا، يَكُونُ عَبْدُهُمْ مَعًا، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَاتِ جَمَاعِيَّة، لَذَلِكَ لَا تَجِدُ أَنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تَجِدُ (الَّذِينَ آمَنُوا) ضَمِيرَ الْجَمَعِ دَائِمًا، لَأَنَّ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ وَلَا يُفَرِّقُونَ، الزَّكَاةُ عِبَادَةٌ تَكَافِلٌ فِيهَا مَعَ إِخْرَانِكَ، الْحِجَّةُ تَجْمَعُ بَشَرِيَّةً هَالِئَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ مِنْ كُلِّ أَقْطَابِ الدِّينِ، فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ، الدِّينُ يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ.

أَخِيرًا: الدِّينُ يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ لَأَنَّ مَبَادِئَهُ تَقْوَى مَعَ فَطْرَتِنَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ خَيَّفُوكَ فِي طَرَقِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الَّذِينَ أَقْيَمُوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)

(سورة النجم)

فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَعْبِدُ إِلَهَ الْعَظِيمِ، وَعِنْدَمَا تَنَوْجِهُ إِلَيْهِ فِي صَلَاتِكَ، وَعِنْدَمَا تَنَوْجِهُ إِلَيْهِ فِي الْفَطْرَةِ، تَتَسَقِّلُ وَتَتَصَالِحُ مَعَ فَطْرَتِكَ وَمَعَ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعًا، فَالَّذِينَ سَلَّمُوا مَعَ النَّفَسِ، سَلَّمُوا مَعَ الْأَخْرَيِنِ، سَلَّمُوا مَعَ النَّاسِ، هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، لَذَلِكَ هُوَ يَجْمَعُ مَعًا، يُقْيِمُ الدِّينِ، وَتُقْيِمُ الْفَطْرَةَ، أَمَا الْفَرْقَةُ فِي الدِّينِ فَهِيَ مِنْ صَنْعِ الْبَشَرِ، لَا مِنْ صَنْعِ خَالقِ الْبَشَرِ، مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَفَرَّقَ فِي الدِّينِ، أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ، لَكِنَّ بِسَبِّبِ نَظَرَاتِ ضَيْقَةٍ مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، بِسَبِّبِ تَرَاكِمَاتِ عَلَى الدِّينِ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، يَتَفَرَّقُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ وَهَذِهِ طَامِهُ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: (وَلَا تَنَعَّرُوْا فِيهِ)، نَهَى وَاضْجَنَ، لَا تَتَنَعَّرُوْا فِي الدِّينِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ رُبُّراً كُلُّ جُزْبٍ بِمَا لَدُهُمْ فَرِحُونَ (53)

(سورة المؤمنون)

يَذْمُمُ اللَّهُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ قَرَّبُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شَيْعًا.

حسبيوا أنفسكم قبل أن تُوزن عليكم، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ ملأ الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلتتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعميل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان واستغفروا الله. الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولهم الصالحين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعل على محمد وعل على آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

من الأقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تلتزم بقواعد السير:

أيها الإخوة الكرام، موضوع في عجلة، كثُرت حوادث السير في طرقنا، والأمن والأمان أنها الإخوة الكرام قطلت شرعاً، وقد لا يلتقي البعض إلى أن قوانين السير فيها تأصيلٌ شرعي، كيف ذلك؟ عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث :

{ لا ضرار ولا ضرار }

(أخرجه البهقي)

عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث:

{ المسلم من سلم الناس من لسانه وبده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم }

(صحيح النسائي)

ثم يُطلق لسيارته العنان في الطرق، وحتى في الأماكن السكينة فيقتل إنساناً أو طفلاً، أو بريئاً بسيء منه، هذا القتل في الشريعة قد يرقى إلى القتل شبه العمد، وفي أقل الأحوال هو قتل خطأ، وإرادة دم مسلم، **وزوال الدنيا أهون عند الله من إرادة دم**.

لذلك أيها الإخوة الكرام، نقول أنَّ اتباع قواعد السير، والالتزام بما يضعه ألوه الأمر بهذا الشأن، ينبغي أن يقوم به الإنسان وهو يشعر أنه يقوم بشيء يرضي الله عز وجل، الموضوع ليس منفصلاً عن الدين، احترام قواعد السير لا تنفصل عن الدين، هي ليست قوانين وضعية فحسب، وضعت من قبل ألوه الأمر وانتهى الأمر، لا أبداً، هي تمثل دينك، أنت عندما تلتزم بالسرعة المقررة، تلتزم بوسائل الأمان، بالإشارات والشاشات، أنت بذلك تتحذَّل كل الأسباب لئلا تصيب إنساناً بريئاً، لا بخُرُجٍ ولا بقتلِ نسال الله العافية.

لكن عندما يتجاوز الإنسان هذا الأمر ويقع المحظوظ، عندها سيلوم نفسه ولا ت ساعة متدم، أما عندما تتحذَّل جميع الأسباب ثم يقع شيء يقضاء الله وقدره، عندها يقول قدر الله وما شاء فعل، **إذاً أمر قفل قدر الله وما شاء فعل**، شيء فوق طاقتك، أمّا أن تفعل ما يحلو لنا في الطرق دون التزام بشيء، يقطع الإشارة الحمراء، يقصي وقته على الجوال وهو يقود السيارة، ثم يقع المحظوظ فيقول قدر الله، نقول له: نعم قدر الله ولكن قدر الله بسيء منه، ولن يُغافِك ذلك من المسؤولية لا أمام القانون ولا أمام الله عز وجل، لأنك فضَّرْت فيما ينافي أن تقوم به، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا
 وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

(سورة الفرقان)

ألا ينطبق ذلك على الإنسان وهو يمشي في سيارته أن يمشي هوناً؟ لا أن يمشي مسرعاً، لا أن يفرغ الناس بأبواب سيارته، ينطبق **(وعيادة الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً)**.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ هُمُ الْمُنْكَرُ>
فَإِنْ شَاءَ عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ قَرُّوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ۖذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا (59)

(سورة النساء)

للحد من وقوع حوادث السير ينبغي الانتهاء لبعض النقاط:

فطاعة أولي الأمر، وهم يأمرن بشيء من ديننا ينبغي أن نلتزم بقوانين السير، لذلك أيتها الاخوة، للحد من وقوع حوادث السير ينبغي الانتهاء إلى ما يلي:
أولاً: التقيد بوسائل الأمان والسلامة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنِفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ> وَلَا تُلْفُوا يَأْذِيْكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ>وَأَخْسِنُوا ۚ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(سورة البقرة)

فالذي لا يتقيد بقواعد السير كأنه يلقي بيده إلى التهلكة، ويُلقي بالآخرين إلى التهلكة.
الأمر الآخر قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذُّوا جَذْرَكُمْ> قَافِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انْفَرُوا حَمِيقًا (71)

(سورة النساء)

فوضع حزام الأمان لاسيما في الطرق السريعة، ثم الانتهاء إلى الشاخصات المرورية هذا كله يندرج تحت قوله تعالى: (**حُذُّوا جَذْرَكُمْ**).
أيضاً تخفيف السرعة أثناء القيادة قال صلى الله عليه وسلم:

{ إنَّ الرِّفَقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ }

(صحيح مسلم)

وقيادة المركبة بهدوء من الرِّفَق.

{ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفَقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ }

(صحيح ابن ماجه)

أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ الْكَرَامُ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لِلَّيْلَةِ أَنْ تَقَرَّ مِنْ عِرْفَةَ إِلَى مُزْدَلْفَةٍ، وَمَعَهُ جَمْعٌ هَائِلٌ مِنَ الْحَجَّاجِ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَهُ الْيَمْنِيَّةَ وَيَقُولُ السَّكِينَةَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَكَانَ يَكْبَحُ أَنْ يُخْفَفَ مِنْ سَرْعَةِ رَاحْلَتِهِ، يَشَدُ زَمامَهَا حَتَّى كَادَ رَأْسَهَا يُلَامِسُ رَحْلَاهَا، وَذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيرِهِمْ أَوْ يَصْبِرُهُمْ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ الْحَافِلَةَ الْمَعْرُوفَةَ فِي هَذَا الزَّمْنِ وَهِيَ الرَّاحْلَةُ، فَكَانَ فِي حَمْعِ الْمُسْلِمِينَ كَذَلِكَ زَمامَهَا وَيَجْعَلُهُمْ تَمْشِي الْهَوْيَةَ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ بِيَدِهِ الْيَمْنِيَّةِ السَّكِينَةَ، فَمِنَ الْاِقْتَداءِ بِسَيِّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تَنْتَرِمُ بِقَوْاعِدِ السَّيِّرِ الَّتِي وَضَعَتْ صَمَانًا لِحَيَاةِ النَّاسِ وَسَلَامَتْهُمْ، وَذَلِكَ أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ الْكَرَامُ، الْأَمْرُ إِنَّمَا نَقْوَمُ بِهِ وَيَنْبَغِي بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَقْوَلُ: يَا رَبَّنَا تَنْخَذُ الْأَسْبَابَ أَنْ لَا نُؤْذَى أَحَدًا مِنْ مُحْلِوقَاتِكَ وَأَنْ لَا نُؤْذَى أَنْفُسَنَا، ثُمَّ أَنْ وَقَعَ شَيْءٌ نَقْوَلُ قَدْرَ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، أَمَا الْاحْتِاجَاجُ بِالْعَذَّرِ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْمَسْؤُلِيَّةَ وَلَوْ احْتَجَّ بِالْعَذَّرِ.

اللَّهُمَّ إِنَّهُنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافَنَا فِيمَنْ عَافَتِ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّتِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقَنَا وَاصِرَفْ عَنَا شَرًّا مَا قَضَيْتَ، فَأَنْكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضِي عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذَلُّ مِنْ وَالْبَتْ وَلَا يَعْزُّ مِنْ عَادِيْتَ، تَبَارِكَ رَبِّنَا وَتَعَالَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ، وَلَكَ الشَّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ وَأَوْلَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، نَؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكِّلُ عَلَيْكَ، اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا عَمَلاً صَالِحًا بُقْرِبَنَا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ الْمُنْقَطِعِينَ صَلَّنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ عُمِّنَا، وَاكْفُنَا اللَّهُمَّ شَرًّا مَا أَهَّنَا وَأَعْقَنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَاملِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ تَوَفَّنَا، نَلِقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا.

اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعْلَى كَلْمَةَ الْحَقِّ وَالدِّينِ، وَانْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعْزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ فَرُّجْ عَنِ إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمِغَارِبِهَا مَا أَهَمُّهُمْ وَمَا أَغَمُّهُمْ يَا أَرْحَمُ الْرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، سَخِيًّا، رَحِيًّا، مُطْمَئِنًّا، وَسَائِرَ الْبَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَجِئْنَهُ الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمُ الْرَّاحِمِينَ.

وَفُوقَ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْبَلَدِ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبَلَدِ وَالْعِبَادِ.

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَقُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ بِرَحْمَكَ اللَّهِ.